

## بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة في الله : لقد كان سلفنا الصالح قمماً في الاقتداء ، ونبراساً في التأسي والاهتداء ، بهدي رب الأرض والسماء ، ففي كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتهم ، وشؤون عيشتهم ، يتحرون سنة نبيهم ﷺ ، ويتلمسون منهاج رسولهم ، فنالوا بذلك وسام خير القرون ، وفازوا بصحبة الرسول ﷺ ، وحققوا بهذا الاتباع الانجازات الباهرة ، والانتصارات الرائعة .

لذا كان علينا أحبة الكرام أن نقرأ سيرهم ، ونتلمس أخبارهم ، حتى نسير سيرهم ونبليج المجد الذي بلغوه ، والخير الذي سطره ، وسير هؤلاء العظماء متنوعة؟؟ لكننا سنتطرق لما يخصنا في هذه الأيام فتتعرف على أحوالهم في الصيام .. وأحوالهم من أحسن الأحوال ، فما كانت وجوههم تكفهر لبلوغ شهر الصيام ، وما كانت نفوسهم تنقبض لإدراك شهر الصيام .. وما كانوا يتضايقون لعبادة الصيام ، لأن السنة كلها عندهم صيام .. نعم لقد أدركوا فضل الصيام وما له من الأجر الكبير من المليك العلام فهو القائل كما في الحديث القدسي : " كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به " رواه البخاري .. فلماذا لا يفرحون بالصيام والله يقول : إنه لي وأنا أجزي به " فأبي تكريم كهذا ؟ وأي شرف مثل هذا ؟ ولهذا أصبحوا يتنافسون في عبادة الصيام .. والمداومة عليه طوال العام .. سوى ما حرم عليهم الكريم العلام .. فهذا ابن عمرو رضي الله عنهما يقول : " أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته . وهي زوجة الولد . فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل ، لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفنا منذ أتينا ، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " القني به " فلقيته بعد ، فقال : كيف تصوم ؟ قلت : كل يوم .. قال : وكيف تحتم ؟ قلت : كل ليلة .. قال : " صم في كل شهر ثلاثة واقراً القرآن في كل شهر " قال : قلت أطيق أكثر من ذلك .. قال : " صم ثلاثة أيام في الجمعة " قلت : أطيق أكثر من ذلك .. قال : " أفطر يومين وصم يوماً " قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك .. قال : " صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم واقراً في كل سبع ليال مرة " فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام أياماً مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ . رواه البخاري .. ولقد

حدث عنه مولاه نافع .. فقال : كان ابن عمر لا يصوم في السفر ، ولا يكاد يفطر في الحظر ..

و آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال : ما شأنك متبذلة .. قالت : إن أحاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا .. قال .. فلما جاء أبو الدرداء .. قرب إليه طعاما فقال : كل فيني صائم .. قال .. ما أنا بأكل حتى تأكل .. قال : فأكل .. فلما كان الليل .. ذهب أبو الدرداء ليقوم .. فقال له سلمان : نم فنام ثم ذهب يقوم .. فقال له : نم فنام .. فلما كان ثم الصباح قال له سلمان : قم الآن فقاما فصليا .. فقال: إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ، ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه .. فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك فقال له صدق سلمان " رواه الترمذي وصححه .

لقد شغلهم حب الصيام .. عن مضاجعة النساء على الفرش .. نعم لقد أدركوا أن من أظماً نفسه في هذه الحياة .. فلن يظماً في الآخرة في دار القرار بإذن الواحد القهار .. لقد أدركوا أن الصائمين يدخلون من باب خاص إلى جنات النعيم .. يسمى باب الريان .. يقول النبي ﷺ : " للصائمين باب في الجنة يقال له : الريان .. لا يدخل منه أحد غيرهم .. فإذا دخل آخرهم .. أغلق .. من دخل شرب .. ومن شرب لم يظماً أبدا " رواه ابن خزيمة .. ولماذا لا يصومون .. وصوت رسول الله ﷺ يجلجل في آذانهم : " من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا " رواه البخاري .. ولماذا لا يعشقون الصيام ونبههم قد أعلمهم : " إن في الجنة غرفة .. يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها .. أعددها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى والناس نيام " رواه أحمد وحسنه الألباني .. الغرفات معدة للصائمين يا أخي .. وما أدراك ما الغرفات ؟ يقول النبي ﷺ : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري لبعدهم في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " رواه البخاري ومسلم .. لبعدهم ورفعتهم وصفاء لوئهم وخلوص نورهم .. يقول الله تعالى : { كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية } قال مجاهد : نزلت في الصائمين .. من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو ما عنده .. عوض ذلك في الجنة .. من ترك شيئاً لله عوضه الله عنه خيراً مما تركه .. فكيف بمن قلصت شفاهه

عطشا .. قال يعقوب بن يوسف الحنفي : بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة : يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد فصلت شفاهكم عن الأشرية ، وغارت أعينكم ، وجفت بطونكم ، كونوا اليوم في نعيمكم ، وتعاطوا الكأس فيما بينكم .. وقال الحسن : تقول الحوراء لوليّ الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس : إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال : انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي .. اشهدوا أنني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك <sup>١</sup> .. فيا قوم ألا خاطب في الصوم إلى الرحمن ، ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان ، ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان .

من يرد ملك الجنان  
فليدع عنه التواني  
وليقيم في ظلمة الليل  
إلى نور القرآن  
وليصل صوماً بصوم  
إن هذا العيش فاني  
إنما العيش جوار الله في دار الأمان

لذلك كان السلف رحمه الله يتحسرون لفراق الحياة ... لا حباً بأشجارها وأثمارها .. ولا شوقاً إلى نسائها وأموالها .. ولكن لظمأ الهواجر .. وقيام الليل .. لما حضرت معاذ الوفاة قال .. انظروا أصبحنا ؟ .. فأتي فقيل : لم تصبح .. فكرر ذلك مراراً .. حتى أتى في بعض ذلك .. فقيل له : قد أصبحت قال .. أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار .. مرحبا بالموت .. مرحبا زائراً مغيب حبيب .. جاء على فاقة .. اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك .. اللهم إن كنت تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأثمار .. ولا لغرس الشجر .. ولكن لظمأ الهواجر .. ومكابدة الساعات .. ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر <sup>٢</sup> .. فيا لله من هذه القلوب .. التي أصبح حرمان النفس من الطعام والشراب .. أشهى إليها من جري الأثمار .. وغرس الأشجار .. ولما حضر الموت عامر بن قيس .. جعل يبكي .. فقيل له ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي جزعا من الموت .. ولا حرصا على الدنيا .. ولكن أبكي على ظمأ الهواجر .. وعلى قيام الليل في الشتاء .. وعن عبيد الله بن محمد التيمي

<sup>١</sup> لطائف المعارف ص ١٧٧  
<sup>٢</sup> الزهد لابن أبي عاصم (١٨١/١)

حدثني بعض أشياخنا أن رجلا من عامة هذه الأمة حضرته الوفاة فجزع جزعا شديدا وبكى بكاء كثيرا .. ف قيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم .. ويصلي المصلون ولست فيهم .. ويذكره الذاكرون ولست فيهم .. فذاك الذي أبكاني<sup>٣</sup> .. وقال أبو بكر النيسابوري : حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق : يا أبا إسحاق ارفع الستر .. قال : يا أبت الستر مرفوع .. قال : أنا عطشان فجاءه بماء .. فقال : غابت الشمس ؟ قال : لا .. فرده .. ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت روحه<sup>٤</sup> .. رأيتم كيف اشتياقهم لفعل الطاعات .. وتحافتهم لعمل الخيرات .. لقد فارقوا الملذات .. وهجروا المباحات .. وما حصل منهم ذلك إلا لأنهم ذاقوا طعم الإيمان .. فبكوا لفراق الحياة .. لا حبا فيها .. ولكن لفوات تلك الأعمال .. فلا إله إلا الله .. من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة .. يقول بعض العارفين : إنه ليمر بالقلب أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا .. إنهم لفي عيش طيب .. ويقول بعض المحبين : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها .. قالوا: وما أطيب ما فيها .. قال : محبة الله والأنس به .. والشوق إلى لقائه .. والإقبال عليه .. والإعراض عما سواه<sup>٥</sup> ولم يكن صيام السلف رحمه الله عن الطعام والشراب فحسب .. وأطلقوا ألسنتهم بالغيبة والنميمة والكذب والبهتان .. والتندر بالناس والاستهزاء بهم .. ولم يكن صيامهم كسل ونوم .. وسهر بالليل إلى قبيل الفجر .. كلا .. لم يكن من ذلك شيء .. بل كانوا يحافظون على صيامهم .. عن كل ما يחדشه .. فهم صاموا نهاره فأحسنوا الصيام .. وقاموا ليله فأحسنوا القيام .. وبين هذا وذاك تلاوة للقرآن ، وذكر واستغفار ، وندم وبكاء ، وخوف ورجاء ، أولئك هم الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع .. يقول ابن رجب رحمه الله : ( كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها ) وكان التابعي الجليل قتادة رحمه الله يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة ، وكان الإمام الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام .. أما عن قيامهم بالأسحار ، ومناجاتهم للواحد الغفار .. فيقول السائب بن

٣ . شعب الإيمان ( ٣ / ٤١٤ ) .

٤ . تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٠٦ ) .

٥ . مدارج السالكين ( ١ / ٤٥٤ ) .

يزيد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا بالناس بإحدى عشر ركعة ، قال : وقد كان القارئ يقرأ بالمئين ، حتى كنا نعتد على العصي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر " خشية أن يفوتنا الفلاح . أي السحور . .<sup>٦</sup> وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به فكان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً ، وكان يتصدق بالسكر ويقول : " سمعت الله يقول : { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } والله يعلم أني أحب السكر .. وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ويجلس يروحهم وهم يأكلون .. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم .. سلام الله على تلك الأرواح ، رحمة الله على تلك النفوس ، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار ، كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار

لا تقعدن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

ولقد كانوا يحفظون صيامهم عن قبيح الكلام ، فلا سباب ولا خصام .. ولا غيبة ولا بهتان ، بل امتثلوا هدي نبيهم ﷺ في قوله : " الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شتمه .. فليقل : إني صائم " رواه البخاري .. وحفظ اللسان يكون في سائر الأحوال ويتأكد في حال الصيام .. لأن الذي استطاع أن يمنع نفسه من الطعام والشراب والشهوة .. لماذا يعجز عن كف لسانه عن السب و الشتائم ، ويحفظ لسانه عن سيء الكلام.

ومن اهتمام السلف بالصيام .. أنهم كانوا يبرنون أطفالهم عليه .. ويسلونهم باللعب حتى ليشعروا بطول النهار .. فأخرج البخاري ومسلم عن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فكان بعد ذلك نصومه ونصوم

<sup>٦</sup> . رواه مالك وصححه الألباني .

صبياننا الصغار منهم .. ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناهم إياه ، حتى يكون عند الإفطار .. رواه مسلم .. فهذا الموقف يكشف لنا حال السلف مع الصيام .. وكيف كانوا يربون أولادهم عليه .. وهذا الذي ينبغي أن نكون عليه بأن نربي أبناءنا على الصيام .. وألا يتسرب إلى قلوبنا تلك الحيلة .. هؤلاء صغار .. ألا ترحمهم ..

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

إذن أحبة في الله : هكذا كان حال السلف مع الصيام .. ما كانوا يضيعون أوقاتهم باللعب .. وما كانوا يقضون صيامهم بالنوم .. نعم هم ينامون لكن ليس كما ننام .. نحن ننام الكثير من الوقت في النهار .. ونسهر في الليل .. ولكن هم على العكس من ذلك .. فأين نحن من أخلاق السلف ؟ وأين نحن من هذه الصور الرائعة !!؟

أحبتني في الله : لما كان السلف بهذه المثابة أثر الصيام في سلوكهم ، وغير من طباعهم فمن ذلك :

. أن الصيام أورثهم قوة من الناحية الصحية ، وقوة من الناحية المعنوية .. فمعركة بدر الكبرى وقعت في السابع عشر من رمضان .. وأحرزوا فيها نصراً كبيراً رائعاً .. وانتصاراتهم في اليرموك والقادسية وجلولاء وحطين .. هل كانت تتم بهذه الروعة والمعجزة ، التي لا تزال تذهل كبار الباحثين في أسرارها .. لولا أن أهلها كانوا يتخلقون بخلق الصائمين من عفة ، وسمو ، وتضحية وتحمل للشدائد ، وخضوع لله ، واستعلاء على كل ما سواه !!؟

اللهم بلغنا رمضان ووفقنا لصيامه وقيامه إيماناً واحتساباً يا رب العالمين ...

بسم الله الرحمن الرحيم

## عناصر الموضوع

**. الحديث عن حرص السلف على الاقتداء بالرسول وذكر نماذج على ذلك.**

. فعل ابن عمر رضي الله عنه .

## **. الحديث عن سبب حب السلف للصيام ..**

" كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به " رواه البخاري

- يقول النبي ﷺ : " للصائمين باب في الجنة يقال له : الريان .. لا يدخل

منه أحد غيرهم .. فإذا دخل آخرهم .. أغلق .. من دخل شرب .. ومن شرب لم يظماً أبدا " رواه ابن خزيمة ..

.. " من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً " رواه

البخاري

- " إن في الجنة غرفة .. يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها

.. أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى والناس نيام

" رواه أحمد وحسنه الألباني

. الغرفات معدة للصائمين يا أخي .. وما أدراك ما الغرفات ؟ يقول النبي ﷺ : " إن

أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري لبعدهم في

الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " رواه البخاري ومسلم

- يقول الله تعالى : { كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية } قال مجاهد :

نزلت في الصائمين .. من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو ما عنده .. عوض ذلك

في الجنة .. من ترك شيئاً لله عوضه الله عنه خيراً مما تركه .

## **. الحديث عن مواقف السلف عند الاحتضار ..**

. موقف معاذ بن جبل رضي الله عنه

. أن رجلاً من عامة هذه الأمة حضرته الوفاة فجزع جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً

.. فقيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم ..

ويصلي المصلون ولست فيهم.. ويذكره الذاكرون ولست فيهم.. فذاك الذي أبكاني  
..<sup>٧</sup>

. وقال أبو بكر النيسابوري : حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه  
إسحاق : يا أبا إسحاق ارفع الستر .. قال : يا أبت الستر مرفوع .. قال : أنا  
عطشان فجاهه بماء .. فقال : غابت الشمس ؟ قال : لا .. فرده .. ثم قال : لمثل هذا  
فليعمل العاملون ثم خرجت روحه <sup>٨</sup> ..

### **الحديث عن سر هذا الحب ؟ الإيمان**

. من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة ..  
- يقول بعض العارفين : إنه ليمر بالقلب أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل  
هذا .. إنهم لفي عيش طيب ..  
- ويقول بعض المحبين : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما  
فيها .. قالوا: وما أطيب ما فيها .. قال : محبة الله والأنس به .. والشوق إلى لقاءه .. والإقبال  
عليه .. والإعراض عما سواه .

### **الحديث عن حال السلف في الصيام :**

#### **١. قضاء الوقت بالقرآن :**

. يقول ابن رجب رحمه الله : ( كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في  
الصلاة وغيرها )  
. وكان التابعي الجليل قتادة رحمه الله يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا  
جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .  
- وكان الإمام الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو قراءة القرآن وإطعام  
الطعام ..

<sup>٧</sup>. شعب الإيمان ( ٣ / ٤١٤ ) .

<sup>٨</sup>. تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٠٦ ) .



ب أما عن قيامهم بالأسحار ، ومناجاتهم للواحد الغفار :

. فيقول السائب بن يزيد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا بالناس بإحدى عشر ركعة ، قال : وقد كان القارئ يقرأ بالمثلين ، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر " خشية أن يفوتنا الفلاح . أي السحور . .<sup>9</sup>

### ج . الإنفاق والجود :

- وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به فكان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً ، وكان يتصدق بالسكر ويقول : " سمعت الله يقول : { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } والله يعلم أني أحب السكر ..

. وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ويجلس يروحهم وهم يأكلون .. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم .. سلام الله على تلك الأرواح ، رحمة الله على تلك النفوس ، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار ، كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار

لا تقعدن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

### د . حفظ اللسان :

. : " الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه .. فليقل : إني صائم

" رواه البخاري ..

<sup>9</sup> . رواه مالك وصححه الألباني .